مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (6)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (6) 2018

التأويل الفلسفي والبلاغي لمفهوم ووظيفة الاستعارة عند بول ريكور

د. منذر شباني*
د. عفراء اسماعيل**
لينا حميدوش***

(تاريخ الإيداع 8 / 10 / 2018. قبل للنشر في 8 / 11 / 2018)

□ ملخّص □

يتناول البحث الذي بين أيدينا موقف التأويل من مسألة الاستعارة، وبشكل خاص موقف الفيلسوف الفرنسي المعاصر بول ريكور. فسوف يتطرق لإشكالية الاستعارة عند ريكور، وذلك من خلال مناقشة نقده للاتجاه الذي ينظر للاستعارة كزخرف جمالي أو استبدالي من جهة أولى، واعتبارها أداة ابتكارية للاقتراب من الواقع من جهة ثانية. وبالتالي بوصفها قيمة ادراكية غايتها الاتصال بالعالم الخارجي ومعرفته. ومنه ينتقل البحث ليسلط الضوء على المرتكزات الفكرية للاستعارة عند ريكور، الذي لاحظ أنه لا يمكن فهم طبيعة الاستعارة من دون فهم مرتكزاتها الأساسية، وهذا ما يقودنا للحديث عن الوظيفة الابتكارية والمعرفية للاستعارة لكونها الجانب الحاضر دوماً في اللغة. فلا يمكن الحديث عن الاستعارة داخل اللغة دون أن نسأل كيف يعمل الفكر. ولذلك يفرق ريكور بين استعارة حيّة واستعارة مُستهلكة على أساس مقدار الابتكار والمعرفة التي تقدمها كل واحدة منها. بالإضافة إلى أن ريكور أكد على أن الاستعارة توجد داخل التأويل ومن خلاله، وهذا التواجد للاستعارة داخل حقل التأويل هو الذي يمكّن من الحديث عن التعدد الدلالي التي تفضي إليه من جهة، وانفتاحها على عالم التصرف البشري ـ عالم الممارسة والعمل ـ من جهة أخرى. وبذلك تظهر الاستعارة في التأويل بوصفها لغة مستقبلية. ليخلص البحث إلى جملة من النتائج المتعلقة بمساءلة مفهوم الاستعارة مساءلة تأويلية فلسفية.

الكلمات المفتاحية: الاستعارة، الوظيفة المعرفية، الاستعارة الحية، الاستعارة المستهلكة، التأويل، عالم الخطاب، عالم الممكن.

* أستاذ مساعد، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا.
** مدرسة ـ قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا.
*** طالبة دكتوراه ـ قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (6)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (6) 2018

Rhetoric and Philosophic Interpretation of the Concept and Function of Metaphor by Paul Ricuor

Dr. Monzer Shbani*
Dr. Afraa Ismael**
Lina Hmaidoush***

(Received 8 / 10 / 2018. Accepted 8 / 11 / 2018)

□ ABSTRACT □

This research tackled the attitude of interpretation towards the issue of metaphor, especially the French philosopher's view Paul Ricuor. It also dealt with the nature of metaphor as suggested by him via critiquing the attitude in which he finds a mere aesthetic and substitutive ornament from the one hand, while taking it as innovative means to touch reality on the other hand. Consequently, it is a cognitive value with the aim of contacting the outside world and getting to know it then the research proceeded to discuss the intellectual basics of metaphor according to Ricuor. He noticed that there is no way to understand the nature of metaphor without understanding its basics. This has made it possible to handle the knowledgeable and innovative function of metaphor be it the present side always in language; that which never fades. So, it was not possible to handle metaphor inside language without wondering how thinking works. Here Ricuor differentiates between living and consumed metaphor on the basis of the ability of innovation and knowledge provided by each one of them. Additionally, he has stated that metaphor is there inside interpretation as it is through it. Such a presence of metaphor inside the field of interpretation is the reason why one can tackle this polysemy. This polysemy results in this on the one hand and in its openness on the world of human act; work and practice on the other hand. This way, metaphor in interpretation is presented as a future language. The research has ended up with a bunch of results through questioning the concept of metaphor in a philosophic interpretative way.

Key Words: Metaphor, Cognitive function, Living metaphor, Consumed metaphor, Interpretation, The Discourse World, The World of possibility.

*Associate Professor, Department Of Philosophy In The Faculty Of Arts And Humane Science – Tishreen University, Lattakia, Syria .
**Assistant Professor, Department Of Philosophy In The Faculty Of Arts And Humane Science – Tishreen University, Lattakia, Syria.
***Postgraduate Student, Department Of Philosophy In The Faculty Of Arts And Humane Science Tishreen University, Lattakia, Syria.

مقدمة:

يبدو إن موضوع الاستعارة من أبرز المسائل الفلسفية الذي ركز عليها الفكر الفلسفي المعاصر، هذا الفكر الذي استفاد على ما يبدو من الدرس البلاغي واللساني الذي جاء عقب الثورة اللسانية والبلاغية الذي أحدثها فرديناند دوسوسير ضمن التحول المنهجي الكبير والذي اتجهت إليه الدراسات الفلسفية من دراسة مواضيع الوجود والقيم والمعرفة إلى دراستها دراسة لغوية نصيّة، وهذا ما عُرف بالمنعطف اللغوي والألسني. إذ ساهمت هذه الثورة في توسيع فضاء البحث داخل الحقل الدلالي للاستعارة من حيث تجاوز ورفض المعنى التقليدي الذي دأب عليه الفلاسفة منذ أفلاطون، والذي ينظر إلى الاستعارة كنوع زخرفي، جمالي، استبدالي لا يمكن أن تقدم أو تضيف معرفة جديدة، ومن هنا فقد اعتبرت الاستعارة بمثابة حجر الأساس في عمل الفكر نفسه، أي أنها عملية تبادل بين النصوص، وعلاقة بين أفكار. وانطلاقاً من ذلك فأن الثورة البلاغية الجديدة قد تجاوزت هذا الفهم التقليدي للاستعارة سواء من حيث المفهوم أو الوظيفة ودورها في المسائل الفلسفية الحديثة(السيميائية والتواصلية والتداولية). وقد تناول العديد من البلاغيين والفلاسفة المعاصرين الاستعارة بوصفها مفهوم فلسفي بامتياز، ولغة تتجه إلى المستقبل لتبشر بطريقة وجود جديدة في العالم لم تتح تجربتها بعد. ومن بين هؤلاء الفلاسفة الفيلسوف الفرنسي بول ريكور.

أهمية البحث وأهدافه:

أهمية البحث:

رفض ريكور فكرة الفصل بين الفكر والواقع، كما ذهب إلى التأكيد على أن اللغة ليست عالماً مستقلاً بذاته. فاللغة ارتبطت بالوجود. وبهذا المعنى، الاستعارة لم توجد بذاتها، بل ضمن اللغة. وبالتالي، تعد مظهراً من المظاهر التي تعكس الوجود. ومن هنا لم تعد الاستعارة تُصنف على أنها مجرد مشكلة لغوية، بل أصبحت مشكلة فلسفية مرتبطة بالوجود، وبالقيمة الإدراكية للإنسان. مما يشير إلى أن هذا البحث يتمتع بأهميّة إعادة طرح مشكلة الاستعارة كمشكلة انطولوجية وقيمة إدراكية، غايتها الارتباط بالوجود وبالواقع الخارجي، وليست مجرد أوراق تنمو لفترة وتموت، أو كقطعة صلصال قد تشكلت بعيداً عن التفكير بل أصبحت في البلاغة الجديدة تتيح لنا التفكير في المعنى وكأنه نبات ينمو. كما أن تناول موقف ريكور لهذه المسألة يلقي الضوء على الفاعلية والحيوية التي يتمتع بها الخطاب التأويلي عند ريكور بشكل عام، والخطاب الاستعاري بشكل خاص.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على مفهوم الاستعارة في ضوء الدراسات البلاغية والفلسفية الجديدة. إضافة إلى ذلك فإن البحث يمعن في تتبع وظيفة الاستعارة الجديدة وإخراجها من اللعبة اللفظية الزخرفية، والبحث فيها كوظيفة معرفية، ابداعية، استكشافية، وهذا ما أوضحه ريكور عندما ميّز بين الاستعارة الحيّة والاستعارة المُستهلكة. ثم يهدف إلى دراسة تأويلية لمفهوم الاستعارة بوصفها مشروعاً يسيطر على أنواع الخطاب كافة، وكيفية استغلال التكنولوجيا الحديثة للخطاب الاستعاري من أجل السيطرة على العالم. والوصول أخيراً إلى الاستعارة بوصفها لغة مستقبلية تساعد الإنسان على إعادة تشكيل عالمه بنفسه، من خلال فكرة ريكور للعالم الممكن.

منهجية البحث:

سنتبع في هذا البحث منهج التحليل اللغوي النصي الذي ربما سيساعدنا في البحث والتقصي فيما نحن مقبلون عليه خصوصاً وإن مفهوم الاستعارة في بحثنا هذا يتم تناوله من خلال الحقل الدلالي، والعلاقة الاسنادية بالمرجع الخارجي، وكذلك فأن البحث في الاستعارة لغوياً ودلالياً ونصيّاً من خلال التأويل الانطولوجي وعلاقة هذا التأويل بطبيعة النصوص الذي قدمها ريكور، كما أننا سنلجأ أحياناً أخرى إلى المنهج الوصفي الذي يعتبر من المناهج الحديثة الذي يرافق الدراسات اللغوية والدلالية.

النتائج والمناقشة:

أولا: طبيعة الاستعارة عند ريكور:

يركز بول ريكور في بحثه لمسألة الاستعارة على نقطتين أساسيتين: النقطة الأولى نقد الفهم التقليدي الذي دأب عليه الفلاسفة منذ أفلاطون، والمتمثل في عد الاستعارة نوعاً زخرفياً وجمالياً لمعنى موجود مسبقاً. أما النقطة الثانية اعتبار الاستعارة أداة ابتكارية للاقتراب من الواقع. وبناءً على ما سبق يُلاحظ أن ريكور يركز على دراسة الاستعارة بوصفها قيمة إدراكية، غايتها الاتصال بالعالم الخارجي ومعرفته. ويتضح جلياً ذلك في قوله:" ما يهمنا هنا هو الخلوص إلى الأفكار الأساسية التي تفرض نفسها، نقصد بهذا إلى الاستعارة والتناسب والنموذج وعلاقة ذلك كله بوصف العالم. أي إننا بصدد انتقال ثوري له وجهتين: وجهة أولى تكف من خلالها الاستعارة على أن تكون حلية جمالية أو زخرفية، وفي الثانية نُلاحظ أن الاستعارة أصبحت الأداة للاقتراب من الواقع والتمكن منه تمكناً علمياً، وهو الشيء الذي كان يُنكر عليها إنكاراً تاماً"[1]. يوضح لنا هذا المعنى الذي اتخذه ريكور الطريقة والوظيفة اللتين ستعمل الاستعارة على استخدامهما من أجل دراسة مواضيع الوجود والقيم في ظل توجه الخطاب الفلسفي المعاصر، والذي انتقل من عد اللغة أداة للتواصل مع العالم، إلى اعتبارها وسيلة وأداة للفكر ذاته، وبالتالي يذهب ريكور في تحديده لطبيعة الاستعارة إلى رفض أن تكون مجرد استبدال كلمة بكلمة أخرى، كأن نقول مثلاً شيخوخة النهار، ونحن هنا نستبدل كلمة شيخوخة بكلمة مساء. بل يمضي إلى أبعد من ذلك إلى عدّها عبارة عن حالة توتر بين بعدين " أحدهما لغوي والآخر غير لغوي"[2]؛ أي بين الهوية والاختلاف الداخلي، بين الدال والمدلول. هذا التوتر الذي يفترض بدوره تعريفاً دلالياً إضافة إلى إحالتها إلى شيء ما تمثله، داخل العملية الاسنادية التي تطلق التجديد الدلالي، وهو ما ينعكس على بنية الاستعارة ذاتها. وهنا يطالبنا ريكور بتتبع ريتشاردز* في تحديد طبيعة الاستعارة من حيث إنها عبارة عن " علاقة توتر"[3] بين الحامل والمحمول، والجمع بينهما يؤدي إلى تغير المدلولات في القول الاستعاري، وإلى توتر العلاقة بين الدال والمدلول، كأن نقول مثلا" غطاء الأحزان"[4]، فإن الوحدتين الدلاليتين المشكلتين لهذه القول الاستعاري هما: الحزن والإنسان. والغطاء هنا وإن استخدم بمعنى كساء مصنوعاً من قماش، إلا إنه استخدم كرمز للتعبير عن الحزن الذي هو سمة إنسانية،

---

[1] - ريكور بول. *الاستعارة الحية*. الطبعة الأولى، دار الكتاب المتحدة الجديدة، ليبيا، 2016، ص29.

[2] - ريكور، بول. *نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى*. الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006 ،ص95.

*** آريفور أرمسترونغ رينشاردز (1893– 1979) ناقد أدبي وعالم بلاغة. صاحب كتاب فلسفة البلاغة الذي يعتبر منعرجا حاسماً في تاريخ الفكر البلاغي عموماً، والاستعارة خصوصاً. إذ قام بقطع الجسور مع المقاربات البلاغية القديمة، وأكد على حضور الاستعارة الدائم في اللغة**

[3] -المرجع نفسه.ص90

[4] - المرجع نفسه..ص90

حيث نجد إن الكلمة الأولى تشير إلى الإنسان، وبهذا المعنى تكون الاستعارة حالة مرتكزة على الرمز. وفي هذا السياق يقول ريكور " الظاهرة الأولى التي ينبغي تأملها ليست العدول عن المعنى الحرفي للكلمات، بل توظيف عمل الإسناد على صعيد الجملة بكاملها. وما دعوناه قبل قليل بالتوتر في القول الاستعاري ليس بالشيء الذي يحصل بين مفردتين في القول، بل في حقيقته توتر بين تأويلين متعارضين للقول"[1]. الأمر الذي يحيلنا إلى البحث في طبيعة التوتر داخل القول الاستعاري الذي" ليس بالشيء الذي يحصل بين مفردتين في القول، بل في حقيقته توتر بين تأويليين متعارضين للقول، والصراع بين هذين التأويليين هو الذي يغذي الاستعارة"[2]. فهذا التوتر الذي تخلفه الاستعارة ليس زخرف تزيني في كلمة مفردة، أو جملة، بل هو "اهتزاز في بنية معنى الخطاب بأسره، من حيث هو وظيفة انطولوجية تريد أن تعكس مفهوماً متوتراً في عالم"[3]. ويعرِّف ريكور التوتر الناشط داخل بنية الاستعارة بأنه" الجدلية الأكثر بدائية والأكثر خفاء. الجدلية التي تسود بين تجربة الانتماء ككل وقوة التبعية التي تفتح فضاء الفكر التأملي"[4]؛ أي فضاء الفكر الفلسفي. وهنا يجد ريكور أن نظرية التوتر في الاستعارة أكثر جدوى من نظرية الاستبدال"[5] من حيث إنها تقاطع بين مجالين، الاستعاري والتأملي، أي الشعري والنظري، ضمن العملية التأويلية. وعلى الرغم من أن ريكور يرى أن هناك فرق بين المعنى والإحالة، إذ يؤكد أن المعنى شيء خاص بعلاقات داخل اللغة، بينما الإحالة هي العلاقات اللغوية الرابطة بين داخل اللغة وخارجها"[6]. إلا أنه لم يفصل بشكل تام بين الخطابين؛ التأملي والشعري. فالخطاب التأملي يستمد فاعليته من المعنى إلى الإحالة من أجل تحقيق المطابقة، بينما الخطاب الشعري يكتفي بالمعنى وحده، خالقاً بذلك احالته الخاصة في داخل العلاقات الداخلية، وهذا هو عمل الاستعارة. وهنا يدخلنا ريكور في جدلية التواصل والتفاصل بين المعنى والإحالة، وبالتالي يضع الاستعارة على مستوى الأنطولوجيا من أجل الانفتاح على الواقع والوجود والحقيقة المتعددة؛ أي الحقيقة التي تظهر بأشكال متعددة. وعند هذه النقطة يظهر الخطاب الاستعاري ليس بوصفه" خطاب عادي أضيفت إليه التنميقات اللازمة لتزينه، بل هي مغامرة انطولوجية للانفتاح على أفق عالم جديد، عالم لا يكف عن مناداتنا ودعوتنا للسكن فيه"[7]. بتعبير آخر، إن علاقة الاستعارة بالوجود تمثل عند ريكور اللحظة الفينومينولوجية التي من خلالها يقع التحول من علم دلالة الكلمة إلى علم دلالة الجملة. وهنا لم تعد الاستعارة كمفهوم متعلق بالكلمة، أو بالدلالة، بل بالمرجع، وتتعدى قيمتها البنية الداخلية للكلمة إلى قيمتها الخارجية الخاصة بالمرجع. والمقصود هنا بالمرجع تحديداً المنطوق الاستعاري؛ أي تأثير المعنى. هذا المنطوق بوصفه قدرة لغوية مهمتها إعادة وصف الواقع. ومن ناحية أخرى، فقد ذهب بعض الباحثين إلى التأكيد على أن " الاستعارة توجد فحسب لأنها تعمل وذات وأثر. وتوجد الاستعارات عندما تظهر بالفعل في اللغة وفي المجتمع وفي الزمن"[8]. وبرأي هؤلاء الباحثين إن فهم الاستعارة يتم عبر فحص العملية الاستعارية ذاتها، وذلك بدارسة فكرة الاستعارة بوصفها ظاهرة اجتماعية وتاريخية مستخلصة من موقف

---

[1] - ريكور، بول . *نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى*.(مصدر سبق ذكره)،ص.90.

[2]- المرجع نفسه.ص.90 .

[3] - ريكور، بول. *الزمان والسرد، الزمان المروري*. الطبعة الأولى، ت: سعيد الغانمي، ج3، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2006 ص.69.

[4] - ريكور بول. *محاضرات في الأيديولوجيا واليوتوبيا*. الطبعة الأولى، ت: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2002،ص.24.

[5] - ريكور، بول. *الزمان والسرد، الزمان المروري*.(مصدر سبق ذكره)، ص.9.

[6] - الغانمي، سعيد. *الوجود والزمان والسرد فلسفة بول ريكور*. الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1999،ص.13.

[7] ريكور، بول. *الزمان والسرد، الزمان المروري*.(مصدر سبق ذكره)، ص.9.

[8] - هوكس، تيرنس. *الاستعارة*. الطبعة الأولى، ت: عمرو زكريا عبد الله، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016،ص15

ما إزاء اللغة"[1]. وهذا الفهم للاستعارة الذي يبحث فيها كظاهرة اجتماعية وتاريخية هو الذي دفعنا للحديث عن الاستعارة وعلاقتها بالواقع من خلال تحديد اللغة بوصفها خطاباً، فهي تحيل إلى ما يوجد في الخارج. وهنا نلاحظ أن ريكور قد رفض ما ذهبت إليه البنيوية، والتي اعتبرت ـ "الكلمة المفردة مجرد وحدة ضمن نسق لا معنى لها خارج مجموعتها المغلقة"[2] ـ . معلّقاً على ذلك بالقول:" لو أخذنا الاستعارة على أنها مجرد كلمة ضمن نظام معين كما هو حاصل في علم البلاغة والبيان لرأينا أن التشديد هو على الانتقال من معنى إلى آخر وتحديد لمعنى الكلمة"[3]. ونرى من كلام ريكور أن كل منطوق لغوي هو دوما يقول شيء ما، أي يقول الحقيقة، يقول الواقع. من حيث إن البحث عن الحقيقة كما يؤكد امبرتو ايكو يتمثّل" باعتباره عملية تأويل، واللغة باعتبارها الفضاء الذي تصل فيه الأشياء بصفة أصلية إلى الكائن"[4] وبهذه الحالة تمثل الاستعارة بحسب ريكور حجر الزاوية التي تفتح آفاق الواقع من حيث قدرتها على" الكشف عن آفاق وأبعاد العالم الواقعي والتي أبقاها الخطاب المباشر متخفية"[5]. ومن ناحية أخرى، فإن الاستعارة عند ريكور هي هي البحث حول المعنى، الذي بدوره ينتج شيئاً ما، وهذا ما يحيلنا إلى تمييز ريكور المعنى عن المرجع ـ والذي سبق لنا الإشارة إليه ـ، من حيث اعتباره بأنه يمكن أن " يوجد معنيان لمرجع واحد"[6].

وانطلاقاً من ذلك يرفض ريكور اختزال طبيعية الاستعارة فقط في إقامة تماثلات بين مرجعيات مختلفة، أو بين سلسلة من العمليات اللغوية التي عبرها تنتقل أو تتحول أوجه شيء ما إلى شيء آخر، أو جعلها صورة للغة، الاستعارة هي وظيفة أساسية للغة، والتي يمكن فهم الاستعارة من خلالها. وفي هذا الصدد، يقول ريكور:" إن فهم الاستعارة ليس بمجرد نقل الكلمات، ولكن بتواصل بين الأفكار، أي بعلاقات بين السياقات"[7]. وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال العودة العودة إلى محتوى التعابير المشكّلة للاستعارة نفسها؛ أي المحتوى المعرفي. وهنا يجب التنويه إلى فكرة ريكور في حديثه عن المحتوى الاستعاري من حيث تأكيده إن" ما يعود إلى المحتوى الاستعاري، فلا وجود لاستعارات شعرية، بل هناك فقط استعارات فلسفية. إن الفيلسوف هو أولاً، بدلاً من أن يوضع في مقابل خطاب آخر غير خطابه، خطاب يشتغل بطريقة مغايرة لخطابات يكون في مواجهة استعارات خلقها الخطاب الفلسفي نفسه"[8]. فريكور وكما أشرنا سابقاً لم لم يفصل الخطاب الأدبي عن الخطاب الفلسفي من حيث علاقتهما بالاستعارة، بل شدد على الاحتمالية التي تربط الفلسفة بالأدب، إذ يرى إن" اختلاف الاحتمالية من أجل التشابه، هذه الاحتمالية بالنسبة لريكور هي بلا شك أحادية الاتجاه، وهي تصاعد من الاستعارة إلى المفهوم، ومن الأدب إلى الفلسفة"[9]، وهذا يعود برأينا إلى أن ريكور ينطلق من اعتقاد تأويلي يرى أن التصاعد من الفلسفة إلى الأدب، أمر غير مقبول ومعقول، لأن ذلك يؤدي إلى موت الفلسفة والمعرفة. لذلك فإن الاستعارة هي مفهوم فلسفي بحسب ريكور، من حيث إنها تفتح نواة الفكر، وذلك من خلال جدل العلاقة بين الفهم والتفسير، وطالما أن الاستعارة لا تفهم إلا من خلال التأويل، وعملية التأويل بوصفها خطاب القارئ، فالفهم هنا يفتح الفكر لدلالات جديدة حول مسعى الخطاب الفلسفي، والذي هو مسعى البحث عن الحقيقة، وهنا يحيل

[1] - المرجع نفسه، ص15

[2] - ريكور، بول. *الذات عينها كآخر*، الطبعة الأولى، ت: جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص23

[3] - المصدر نفسه. ص23

[4] - إيكو امبرتو، 2005ـ السيميائية وفلسفة اللغة. الطبعة الأولى، ت: أحمد الصمعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص356

[5] - ريكور بول، 2006ـ بعد طول تأمل. الطبعة الأولى، ت: عمر مهبيل ، منشورات الاختلاف،ص71

[6] - ريكور بول، 2016- الاستعارة الحية. (مصدر سبق ذكره) ص144.

[7] - المصدر نفسه، ص122.

[8] - المصدر نفسه، ص440.

[9]- KIM J., 1992-Metaphor within/ without Metaphysics; Nietzsch,Heiegger and Derrida. LSU.Historical dissertations and these,p.213

ريكور مهمة عمل الفكر إلى القارئ. وفي هذا السياق يكتب ريكور: " إن الفهم يمثل للقراءة ما تمثله واقعة الخطاب بالنسبة لنطق الخطاب، وأن التفسير للقراءة يمثل ما يمثله الاستقلال النصي واللفظي للمعنى الموضوعي للخطاب"[1] .

ووفقاً لهذا الكلام، نلاحظ أن الاستعارة تتحقق من خلال تفاعل بين الحامل والمحمول؛ أي بين" مغزى الفكرة الضمنية التي تعبّر عنها الاستعارة، والحامل لتشابه الأساسي الذي يستخدم لتجسيد أو حمل المحمول"[2]. بمعنى آخر، من الحضور المباشر للحامل والمحمول ينتج المعنى. وبناءً على ذلك فالحامل هنا ليس مجرد زخرف للمحمول الذي يتغير بواسطته إلا أن المحمول والحامل في تعاونهما معاً يعطيان معنى ذا طاقات عديدة لا يمكن أن ينسب لأي منهما على حده حال انفصالهما"[3] وهنا تكون نظرية التفاعل الاستعاري عند ريكور قد تحققت في مسألة تحويل المعنى، أي أن المعنى لا يموت، بل يتحول فقط. ويبدو أن ريكور كان قد لاحظ هذه المسألة ؛ أي الفكرة التي تؤديها تحويل المعنى؛ أي الاستعارة بالمعنى الاشتقاقي للكلمة، والتي توجد بوصفها" تعبيراً عن المشاكلة، وبوصفها لعباً لمشاكلات متعددة ومتنافسة، ومتراكبة. وهكذا، فقد سمح لنا مفهوم المشاكلة أن ندل على مكان الاستعارة في اللغة"[4]. وهذا ما سنتحدث عنه لاحقاً ضمن المرتكزات الفكرية للاستعارة عند ريكور.

ثانياً: المرتكزات الفكرية للاستعارة عند بول ريكور:

يرى ريكور أن فهمنا لطبيعة الاستعارة قائم على استيعابنا لمرتكزاتها الفكرية الأساسية، والتي تتمثل في علاقة الدلالة بذاتها وبمرجعها الخارجي، وما تفضي إليه هذه العلاقة من تماثلات ترتبط بشكل مباشر بمفاهيم لغوية عدة ضمن العملية التأويلية. وهذه المرتكزات تُعد بمثابة الحدود الضامنة لفهم الاستعارة من حيث وظيفتها الابداعية والمعرفية من جهة، ورسم لحدود الميدان الذي يوسع من خلاله نظرية التأويل . وتتمثل أولى هذه المرتكزات ب:

أ. علاقة الاستعارة بالرمز:

الحديث عن الاستعارة عند ريكور هو حديث عن الرمز، فمن المعروف عنه أن ريكور قد عالج مسألة الرمز بكل تجلياته ومستوياته من حلم ورغبة وطقس وأسطورة وغير ذلك في بعده اللغوي من خلال نموذج الاستعارة. وهذا الحديث عن البعد اللغوي داخل الرمز هو الذي سمح بدوره " بتفسير التمفصل بين اللغوي وما يحيل إليه تمفصلاً ينحرف عن سلوك اللغة الواضح والعادي"[5] وهنا يظهر البعد اللغوي المرحلة الأولى لفهم الرمز داخل القول الاستعاري. وبالتالي التأكيد على البعد اللاـ دلالي الذي يتضمن أيضاً في القول الاستعاري، وهذا ما يؤكده ريكور بقوله: " أن في داخل الرمز، شيئاً لا ـ دلالياً، بقدر ما فيه من شيء دلالي"[6]، وهنا يكشف ريكور عن علاقة الاستعارة بالرمز، وذلك من خلال مقاربة هذا الاخير داخل بنية المعنى المزدوج، والتي هي بنية ليست دلالية خالصة، حيث إن هذا التضمن للبعدين لمفهوم الرمز في القول الاستعاري القائم على المغزى هو ما يجعل من الاستعارة ظاهرة إسناد، لا تسمية كما ذهب الفكر الفلسفي التقليدي.

---

[1] - ريكور بول،2006ـ *نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى*. (مصدر سبق ذكره)،ص118

[2] - هوكس تيرنس، 2016ـ الاستعارة. (مرجع سبق ذكره)،ص175

[3] - المرجع نفسه، ص75

[4] - ريكور بول، 2005ـ صراع التأويلات دراسات هيرمينوطيقية. الطبعة الأولى، ت: منذر عياشي، م: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة، الجديدة، ص.114.

[5] - ريكور بول،2006ـ *نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى*. (مصدر سبق ذكره)،.ص110

[6] - المرجع نفسه، ص84

وبذلك فأن العلاقة بين الاستعارة والرمز تكشف عن علاقة اختبارية داخل خطاب ما، وهو ما يجعل وجود قاعدة تأويلية ترتكز بشكل أساسي على "بنيته الدلالية في انطوائه على معنى مزدوج"[1] أمر جوهري. والجدير بالذكر أن ريكور في معالجته لموضوع الرمز وعلاقته بالاستعارة قد أكد على عملية التداخل والمساعدة التي تقدمها كل نظرية للأخرى، وفي هذا السياق يصرح" إن نظرية الاستعارة بوصفها تحليلاً تمهيدياً يفضي إلى نظرية الرمز، فإن نظرية الرمز بالمقابل، ستتيح لنا توسيع نظريتنا عن الدلالة، بإتاحتها لنا أن تضمِّن فيها ليس المعنى اللفظي المزدوج فقط، بل المعنى اللا ـ لفظي المزدوح أيضاً"[2]. ولكن علاقة الرمز في بعديه اللغوي واللا ـ لغوي بالاستعارة هنا يبين لنا الكيفية التي بها تعود مفاهيم الحقيقة والواقع والوجود إلى الحقل الذي نستجيب فيه للتأثير الدلالي للمقول الاستعاري من أجل أن يلتئم الرمز في عمل اللغة.

وفيما يخصّ علاقة الرمز بالاستعارة يبدو أن ريكور في تعقب مسألة الرمز يسلك من الناحية المنهجية سلوكاً فرويدياً في استدعاء الرموز عبر الاستعارة لعلاج لاوعي الذات بما أنها المطلب الأساسي من وراء خوض هذا المنهج، معتبراً، أن" الاستعارة هي العنصر الكاشف والمناسب لإضاءة هذا الجانب من الرموز الذي له مساس باللغة"[3]. هذا إلى جانب كونها ـ أي الاستعارة ـ ابتكاراً خطابياً متحرراً بين الذات والوجود، وبين الذات واللغة نفسها، لذا فهي ليست فقط مجرد حالة طارئة في اللغة أو طفرة عرضية للتأمل في الرمز، بل هي واسطة كاشفة، عن حقيقة المعنى المطلوب توليده من العلاقة مع الوجود، والكشف هو الذي ينشئ القول، لا العكس. وهذا يتضح من خلال الدرجات الوسطى التي تمر عبرها العلاقة بين الرمز والاستعارة. هذه الدرجات تتجلى عند ريكور عبر الاغراء الذي يقوم به الرمز من خلال اعطاء أوصاف جديدة تتيح بدورها تطورات جديدة في نظرية الاستعارة. وهنا يظهر الرمز من خلال عمل الاستعارة " كسلسلة أو شبكة"[4]، ومعنى السلسلة هنا لا يشير إلى تتابع وتعاقب من دون أي تأثير بين الإشارات، بل إن " كل استعارة تستدعي الأخرى، وكل واحدة تبقى حيّة بالحفاظ على قدرتها في استحثاث الشبكة بأسرها. هكذا يُطلق على الله في التراث العبري اسم الملك، والأب، والزوج، والمولى، والراعي، والقاضي، كما يطلق عليه الصخرة والحصن والمخلص والعبد المعذب. فتولد الشبكة ما يمكننا أن نسميه باستعارات الجذور، الاستعارات التي لديها القوة من جهة لجمع الاستعارات الجزئية المستمدة من مختلف ميادين تجربتنا وتضفي عليها بالتالي نوعاً من التوازان. ومن جهة أخرى، لديها قدرة على توليد غزارة مفهومية، أعني عدداً غير محدود من التأويلات الضمنية على المستوى المفهومي"[5]. وهذا يشير بدوره إلى أهميّة استعارات الجذور** ـ كما يسميها ريكور في النسق التأويلي ـ والتعاون المزدوج لكل من الاستعارة والرمز في رسم حدود الميدان الذي يستطيع من خلاله توسيع نظرية التأويل.

ب: حيوية وفاعلية مفهوم الاستعارة عند ريكور:

بعد الحديث عن علاقة الاستعارة بالرمز والتي وجد بها ريكور مصدراً مهماً لتعدد الدلالات داخل القول الاستعاري. يتابع ريكور حديثه عن المرتكزات الفكرية للاستعارة من خلال تأكيده على فكرتين أساسيتين هما: حيوية الاستعارة

---

[1] - المصدر نفسه، ص84

[2] - المصدر نفسه، ص84

[3] - المصدر نفسه، ص97

[4] - المصدر نفسه، ص108

[5] - المصدر نفسه، ص109

** ويقصد ريكور باستعارات الجذور، الاستعارات المهيمنة القادرة على توليد وتنظيم شبكة نافعة كنقطة اتصال بين المستوى الرمزي بارتقائه البطئ والمستوى الاستعاري السريع الزاول(بول ريكور. نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، ص109)

وفاعليتها. ففاعلية الاستعارة تكمن في امتلاكها للخاصية الابتكارية على صعيد المعنى. وفي هذا الصدد، يقول ريكور:" إن فاعلية الاستعارة تصل إلى تخوم تحقيق الخوارق، وتبدو أنها أداة ابتكار نسيها الرب في واحد من مخلوقاته حينما خلقه، كما الجراح ينسى أداة في أحشاء الخاضع للعملية. كل القوى الأخرى تتركز في داخل ما هو واقعي، وما سبق وجوده"[1]، يشير هنا ريكور إلى أن الاستعارة هي جزء من كينونة الإنسان التي تولد وتستمر معه. ولكن مع الأخذ بعين الاعتبار إلى أنه عندما يتحدث ريكور عن فاعلية الاستعارة، فهو يؤكد على أن الإنسان هو من يجعل منها ابتداعاً دلالياً؛ فالإنسان بنظره يبدو " متشخص كقوة وجود، منفصل على نحو غير مباشر عن الأعالي والأسافل والجانبين. فقوة الدوافع التي تنتاب تخيلاتنا، وأنماط الوجود المتخيلة التي تلهب الكلمة الشعرية، وكل ما يعترينا ويتوعدنا من عنف حين نشعر بعدم حب الآخرين لنا، في كل هذه الحالات وربما في غيرها أيضاً، يحدث جدل القوة والشكل، الذي يضمن أن تمسك اللغة وحدها بالزبد على سطح الحياة"[2]. وهنا ندخل حيز المشكلة الدلالية للاستعارة بوصفها من جهة أولى تجربة دلالية، ومن جهة ثانية تجربة حياتية تقوم على علاقة استجابة المرء لتجلي القوة، وهو ما يدخلنا هنا في حقول مختلفة من حيث الثقافة التي تجري ضمن أطرها هذه التجربة الدلالية أو تلك. ومما تجدر الإشارة إليه، هو أنه في طرحه لفاعلية الاستعارة على مستوى المعنى يؤكد ريكور على أن مسألة المعنى قد تجاوزت اليوم مفهوم التفسير، بل أصبح المعنى نفسه كما يقول" قضية تتعلق بتداخل العلوم. وهي قضية أريد أن أنظر إليها في مستوى استراتيجي واحد ومتجانس هو مستوى النص"[3] وهنا يلجأ ريكور إلى التحليل النفسي من أجل التمييز بين ضربين من العلاقة لدلالات المعنى" علاقات القوة المعبر عنها بالطاقة، وعلاقات المعنى المعبر عنها في تفسير المعنى"[4]. والحديث عن فاعلية الاستعارة يقودنا إلى الحديث عن حيويتها التي تكمن في شموليتها؛ أي من حيث دخولها في مجالات ثقافية مختلفة للإنسان، مستمدة من مختلف ميادين تجربته، بحيث إن بعض الاستعارات تبلغ من الفاعلية والحيوية من أنها" تتخلل الخطاب الإنساني كله"[5]. وبهذا الكلام يكون ريكور قد أحدث تجاوزاً فكرياً مع المنظور التقليدي حول مسألة الاستعارة بوصفها مفهوماً جمالياً، وذلك بإخراجها من حيز اللعبة اللفظية الزخرفية، وإدراجها ضمن حقول معرفية أشمل؛ أي حقول الشعر والفلسفة والعلم، إلى جانب التداول اليومي والخطاب التكنولوجي والاعلامي. وهذا إن دلَّ على شيء فإنه يدل على أن الاستعارة وفق التصور البلاغي الجديد، الذي كان قد بدأه ريتشارد وتابعه امبرتو ايكو، ومن بعدهما بول ريكور يدل على القطيعة البلاغية المابعد حداثية لمفهوم الاستعارة من خلال إدخالها في مجالات دراسية واسعة سواء العلمية أم الإنسانية بمختلف فروعها.

د: مفهوم المشاكلة:

تحدث ريكور في معرض تناوله لمسألة تحويل المعنى، أي الاستعارة، إلى إطار الدلالة المعجمية بوصفها لعباً لمشاكلات متعددة ومتنافسة، ومتراكبة؛ أي بكونها قضية تتعلق بتعددية المعنى. وهكذا، فقد سمح لنا مفهوم المشاكلة؛ الذي يعني " تأسيس الخطاب على مستوى تجانس المعنى"[6] أن نشير على مكان الاستعارة في اللغة. يؤكد ريكور على أهميّة مفهوم المشاكلة على مستوى تجانس المعنى وذلك من أجل فسح المجال " لعددٍ من السلاسل الدلالية التي تنتمي

[1] - ريكور بول، 2016- الاستعارة الحية. (مصدر سبق ذكره)، ص133.
[2] - ريكور بول،2006- *نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى*. (مصدر سبق ذكره)،ص110
[3] - ريكور بول، 2005- صراع التأويلات دراسات هيرمينوطيقية. (مصدر سبق ذكره)،ص100
[4] - المصدر نفسه، ص101
[5] - ريكور بول،2006- *نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى*. (مصدر سبق ذكره)،ص110
[6] - ريكور بول، 2005- صراع التأويلات دراسات هيرمينوطيقية. (مصدر سبق ذكره)،ص113

إلى مشاكلات متنافرة أن تتجلى عيانا عوضاً عن تصفية سلسلة من المدلولات المتشاكلة"[1] فمن خلال مفهوم المشاكلة تستطيع الاستعارة أن تعمل على توليد وحدة معجمية جديدة، أي دلالة جديدة. فالتعدد الدلالي الذي سيركز عليه ريكور داخل نظرية الاستعارة يعني" أن هوية كلمة ما، وفي علاقتها بكلمات أخرى تسمح في اللغات الطبيعية، بتنافر داخلي، وبتعدديته. بحيث إن نفس الكلمات يمكن أن تنسب إليها، تبعاً لاختلاف السياقات، ومعان مختلفة، هذا التنافر لا يقوض هوية الكلمة"[2]، بل يفضي إلى تعدّدية دلالية من حيث اسناد كلمة إلى مرجعها الخارجي. وهذا يعود إلى الوعي اللغوي للمتحدثين من إدراك عدم ثبات معنى ما من تعددية المعاني. فالطابع المفتوح لبنية الكلمة يبدو أنه يساهم في" إضافة معنى جديد للمعاني السابقة للكلمة بدون أن تختفي هذه، إن البنية المفتوحة للكلمة، أي لدانتها ومُيُوعتها، تُحيل إذن على ظاهرة التغيير الدلالي"[3]. ويسمي ريكور هذا النوع من الاستعارة، بالاستعارة الحيّة، ويسند لها وظيفة ابتكارية في اللغة، قائلاً:" إن الاستعارة هي القدرة على الرؤية بمنطق(كأن) وتفتح لنا الفعالية السردية للقص أفاق عالم(كأن)"[4] كأن)"[4] وما تجدر الإشارة إليه، هو أن ريكور يرى أن تعبير(كأن) أقوى بكثير من مجرد(ك) أو(مثل)؛ أي تعبير المقارنة أو التشبيه، لأن في تعبير(كأن) تعلمنا الاستعارة أن نرى الشيء كشيء آخر؛ أي الاستعارة بوصفها تحمل دلالة المجاز الذي يدل على اعتبار ما سيكون. وهذه الاستعارة التي يكون لها إمكانية أكثر لتوليد الدلالة، وبذلك تكون غنية من الناحية المعرفية والابتكارية. ويوجد في مقابل الاستعارة الحيّة، الاستعارة الميتة، أو المستهلكة، والتي تحدث عنها دريدا طويلاً في مقالته المعنونة " المثيولوجيا البيضاء" والذي اعتبر فيها أن الاستعارة من وظائف الميتافيزيقا، وهي بالتالي" استعارة التي لا تقال، وإنما تختفي في بديل المفهوم الذي يقال"[5]. وضمن هذا السياق، يحذر ريكور داخل حركة الاستعارة نفسها من وجود استعارات ميتة أو مستهلكة، وصفة الاستهلاك هنا تحمل معنى تداولي؛ أي بمعنى أنه في عملية الانتقال ضمن البنية الداخلية للاستعارة من مستوى في المعنى إلى مستوى آخر وراءه، لتنتهي باستعارة راكدة أو بالية متخثرة عند معنى واحد. ومن خلال الرأي الريكوري حول الاستعارة الحيّة والاستعارة المُستهلكة، يتضح أن صفة الحياة والاستهلاك التي تتميز بها الاستعارة مرتبطة بالخطاب والفكر الثقافي بالمعنى التداولي أو العملي وليس البراغماتي. فالاستعارة الحيّة تكتسب دائماً خصائص ودلالات جديدة؛ في حين تكتفي الاستعارة المُستهلكة بالخصائص الموجودة والمتداولة أو كما يقول ريكور :" إن الاستعارة حين تتداولها الجماعة اللغوية وتقرّ بها، تختلط بامتداد لا حصر له من الكلمات المتعددة المعاني. البداية، تُبتذل الكلمة، ثم تتحول إلى استعارة ميتة"[6]. وهكذا يمكننا أن نوجز الاختلاف بين هذين النوعيين من الاستعارات بالقول إن الاستعارة الحيّة هي استعارة منفتحة على كل مجالات التأويل والتواصل بين الثقافات الإنسانية الذي شدد عليها ريكور، وبالعلاقات اللغوية، وبالقيم وبكل ما يدخل في إطار الهوية الثقافية والسردية، هذه الهوية التي تتميز على المستوى التأويلي بأنها لا تحمل فقط" مهمة اختزال رغبة الإنسان، ولكنها تحمل مهمة الدفاع عن الإنسان ضد تفوق الطبيعة الساحقة"[7]. وهذا يتحقق عندما يتم التشبث بمعيار الاستعارة، كسلسة

---

[1] - ريكور بول، 2005- صراع التأويلات دراسات هيرمينوطيقية. (مصدر سبق ذكره)،ص113

[2] - ريكور بول، 2016- الاستعارة الحية. (مصدر سبق ذكره)،ص202

[3] - المصدر نفسه، ص214

[4] - الغانمي سعيد، 1999- الوجود والزمان والسرد فلسفة بول ريكور. (مرجع سبق ذكره)،ص227

[5] - ريكور بول، 2016- الاستعارة الحية. (مصدر سبق ذكره)،ص41

[6] - ريكور بول،2006- *نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى*. (مصدر سبق ذكره)،ص108

[7] - ريكور بول، 2005- صراع التأويلات دراسات هيرمينوطيقية. (مصدر سبق ذكره)،ص172

كسلسة أو شبكة. وهكذا تفهم الاستعارة على أنها الاستعارة الحيّة؛ بمعنى أنها" تملك خاصية تجديد ينبغي وصفها بين تغييرات المعنى"[1]. ومن هذا المنطلق يمكننا الحديث عن الوظيفة الابتكارية والمعرفية للاستعارة عند ريكور.

ثالثاً: الوظيفة الابتكارية والمعرفية للاستعارة.

يحدد ريكور رأيه حول وظيفة الاستعارة بأنها حاملة لطاقات فكرية مهمة، وبالتالي فهي "أداة ذهنية نتمكّن بواسطتها من الإحاطة بما هو أبعد عن كفاءتنا المفهومية. فبواسطة ما هو أقرب وما تسيطر عليه نتمكن من الاتصال الذهني بما هو بعيد وفالت. الاستعارة إضافة إلى ذراعنا الذهني فهي تمثل في المنطق قضية الصيد أو البندقية"[2]. وبهذا الكلام تعتبر الاستعارة أساس عمل الفكر، فإذا كانت الاستعارة لا تُعلِّم شيئاً فإن تسويغها ينبغي التماسه بعيداً عن وظيفتها المعرفية، إنها تكون هنا مثل المجاز الضروري حيث تملأ فراغاً في المعجم، إلا إنها بحسب ريكور" تشتغل حينئذ لاعتبارها عبارة حرفية وتختفي بوصفها استعارة، أو تكون مجرد زخرف للخطاب، الذي يوفر للمستمع مع الدهشة، والاخفاء أو التغير التصويري"[3]. بهذا المعنى فقد سعى ريكور إلى أن يضفي على الاستعارة مفهوم متعالي، وظيفة عقلية تسعى إلى تعليق العالم ضمن تخيل فينومينولوجي، قائم على علاقة الاستعارة بالسرد، إذ أن الفجوة بين السرد و الحياة تظل مفتوحة. يبدو أن المفهوم المتعالي الذي اعطاه ريكور لوظيفة الاستعارة قد دفعه إلى الاعتقاد بأن الاستعارة يمكن أن تعيد بناء العالم وتوزعه وفق تفاعلات الذات مع العالم الذي يتواجد من علم السيمياء أو الاشارات"[4]، وبهذا الصدد، يميز ريكور على مستوى الخطاب الاستعاري بين علم الدلالة والسيمياء، وهذا ما يوضحه بقوله إن:" العلامة موضوع السيمياء شيء افتراضي. والشيء الفعلي الحقيقي الوحيد هو الجملة، لأنها الحدث الفعلي في لحظة التكلم"[5]. وهذا يعني إن المقصود بالافتراضي هنا قصور العلامة في الوصول إلى المعنى. وقد أشار ريكور إلى هذه المسألة في كتابه ـ نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى ـ عندما قال:" السيمياء هو العلم الذي يدّرس العلامات، علم شكلي صوري بحيث إنه يعتمد على تجزئة اللغة إلى أجزائها المكونة. أما علم الدلالة، علم الجملة، فمعني مباشرة بمفهوم المعنى، ـ أي بما هو فحوى أو مغزى، وهو في هذه المرحلة رديف لمفهوم المعنى ـ مادام التمييز بين المغزى والإحالة لم يأتِ بعد، لأن علم الدلالة ينصرف انصرافاً كلياً إلى العمليات التكاملية للغة في تداخلها العضوي"[6] . ولكن ما يشير إليه ريكور هنا هو إعادة تقييم لما طرحه الفكر التقليدي عموماً. وافلاطون خصوصاً حيث " يعتمد اللوغوس على التداخل والتواشج بين نوعيين من الوحدات المختلفة في الأقل وهما الاسم والفعل"[7].

أما فيما يتعلق بالحالة الاستعارية، هناك الإحالة الاستعارية والمعنى الاستعاري أيضاً. لكن الإحالة غير مباشرة، لأنها إحالة تتم من خلال وصف جديد يسمح لنا بأن نرى العالم بمنظارٍ جديد؛ أي إعادة بناءه ضمن عالم متخيل. وهنا تظهر الوظيفة الابداعية والابتكارية والمعرفية للاستعارة من كونها تعكس علاقة الإنسان بالواقع. وبالتالي، تربط المعنى الاستعاري بمستوى النص، المتخطي للكلمة، والجملة، وبأجناس الخطاب والواقع الخارجي والإنساني، وذلك من خلال إعادة فهم العلاقة التي تربط اللغة بالواقع الإنساني. هذه العلاقة التي أضحت علاقة مرتبطة ومتأصلة بالوجود، وليست فقط أداة للتواصل. وهنا يطرح ريكور معنى الاستعارة على المستوى الانطولوجي والفكري للإنسان، من كونها

---

[1] - **ريكور بول، 2016- الاستعارة الحية. . (مصدر سبق ذكره)،ص213**
[2] - **المصدر نفسه، ص32**
[3] - **المصدر نفسه، ص160**
[4] - **الغانمي سعيد، 1999– الوجود والزمان والسرد فلسفة بول ريكور. (مرجع سبق ذكره)،ص227**
[5] - **ريكور بول،2006- *نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى*. (مصدر سبق ذكره)،ص32**
[6] - **المصدر نفسه، ص33**
[7] - **المصدر نفسه، ص33**

الجانب الحاضر دوماً في اللغة، والذي لا يمكن أن يغيب أبداً، وتكشف عن جانب النقص الذي تفضيه اللغة في حياتنا البشرية، من حيث إننا لا يمكن أن نسأل كيف تعمل اللغة دون أن نسأل كيف يعمل الفكر والشعور، وكل أنماط النشاط الذهني، وهذا ما كان قد أكده سابقاً ريتشارد بقوله:" إن الاستعارة هي المبدأ الحاضر أبداً في اللغة، وهذا ما تمكن البرهنة عليه بالملاحظة المجردة. فنحن لا نستطيع أن نصوغ ثلاث جمل في أي حديث اعتيادي سلس دون اللجوء إلى الاستعارة، وحتى في اللغة الجافة للعلوم الراسخة لا يمكننا أن نستغني عنها دون أن نعاني من بعض المصاعب"[1]. وفي السياق نفسه، يمكننا الاستشهاد بمواقف أخرى لبعض البلاغيين الحداثيين، والتي تؤكد على ما ذهب إليه ريتشارد وريكور من ذلك مثلاً ما يراه جورج لايكوف ومارك جونس في الكتاب الذي حمل عنوان " الاستعارات التي نحيا بها". ففي هذا الكتاب أكد لايكوف" إن الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية. إنها ليست مقتصرة على اللغة. بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضاً. إن النسق التصوري العادي الذي يسير تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس"[2]. وفي مكان آخر يعود لايكوف ليؤكد على أن " التصورات التي تتحكم في تفكيرنا ليست ذات طبيعة ثقافية صرف، فهي تتحكم أيضاً، في سلوكياتنا اليومية البسيطة بكل تفاصيلها"[3]. وفي هذه الحالة تتخذ الاستعارة الاستعارة إلى جانب وظيفتها الانطولوجية، وظيفة أخرى هي التداولية، و التي نظر إليها كما اعتبرها أحد الباحثين بأنها " مقولة الرمزي ومقولة المفاهيم والوجود والاستقبال والامساك بالبعد الرمزي للتجربة الإنسانية هو الكفيل بإنتاج المعرفة وتداولها واستهلاكها وإعادة انتاجها"[4]. فالاستعارة إذن هي التي توجه تفكيرنا وعليه يمكن القول بأهمية الاستعارة في حياة الإنسان وفكره. وفي هذا الصدد يقول ريكور:" كلما مضينا في التجربة أكثر ازداد تفكيرنا اعتماداً على الاستعارة التي نتفادى اللجوء إلى استعمالها"[5]. فالاستعارة ليست مجرد كلمة نستبدل بها أو إحالة أو مسألة لفظية بقدر ماهي صفة من صفات الإنسان القادر التي تحدث عنه ريكور ضمن مشروعه الفلسفي. أي بمعنى آخر، يمكن تسميتها" بملكة الاستعارة، الملكة التي نحيا بها"[6]. بعبارة أرسطو عطاء الموهبة ولا يمكن تعلمها. وبالعودة إلى وظيفة الاستعارة عند ريتشارد فإنه يبيبن أهميّة وجوب العودة إلى لمعنى الاستعاري في أي تفسير لوظيفة اللغة في المجتمع. وبهذه الوظيفة الجديدة للاستعارة؛ أي الوظيفة الانطولوجية والتداولية، يكون الفكر المعاصر قد حقق قطيعة معرفية مع التصور القديم للاستعارة بكونها حالة استبدال أو انحراف. ولكن ما تجدر الإشارة إليه هنا إن الاستعارة عند ريتشارد لها غرض أساسي هو" توسيع اللغة، وبما أن اللغة هي الواقع فإن الاستعارة توسيع الواقع كذلك. وعبر تجاور العناصر التي يُحدث تفاعلها بُعداً جديداً لكليهما، فإنه من الممكن القول بأن الاستعارة تخلق واقعاً جديداً وتصونه عبر اللغة، حيث إنها تكون متقلبة لدى متكلمها"[7]. وبهذا لن تكون الاستعارات تعابير مشتقة من "حقائق" أصلية، بل تكون هي نفسها حقائق للفكر البشري الذي تعد اللغة مصدراً مهماً في البرهنة على الكيفية التي يشتغل بها. وفي هذا الصدد يؤكد ريكور على ابراز الطابع الخيالي للاستعارة في اللغة قائلاً:" يجب تتبع تغير اللغة هذا من إنشاء خيال استكشافي، ومن خلال نقل خصائص الخيال الاستكشافي إلى الواقع نفسه" [8]؛ أي أن إعادة الماضي من خلال الأشكال التخيلية قد

---

[1] - ريكور بول، 2016- الاستعارة الحية. (مصدر سبق ذكره)،ص16

[2] - لايكوف جورج وجونس مارك، 2009ـ الاستعارات التي نحيا بها. الطبعة الثانية، ت: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ص21

[3] - المرجع نفسه، ص21

[4] - ختام جواد، 2016ـ التداولية أصولها واتجاهاتها. الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ص44

[5] - ريكور بول، 2016- الاستعارة الحية. . (مصدر سبق ذكره)،ص14

[6] - المصدر نفسه، ص17

[7] - هوكس تيرنس، 2016ـ الاستعارة. (مرجع سبق ذكره)،ص77

[8] - ريكور بول،2006ـ *نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى*. (مصدر سبق ذكره)،ص113

يفضي إلى تعدد الإمكانيات ونفي مقولة الواقع الواحد، واقرار الواقع المتعدد وهي وظيفة الهوية السردية التي تبرز قدرة اللغة على إعادة نقل الواقع وتصويره تصويراً تخيلياً.

وقد عمل البعد المعرفي والاستكشافي والابتكاري الذي أضفاه ريكور على فاعلية الاستعارة على عدها جزء من فاعلية التجارب الإنسانية الأخرى، وفي هذه الحالة فقد اعتبرت الاستعارة " الصيرورة البلاغية التي بوساطتها يُحرر الخطاب السلطة التي تكمن في بعض المتخيلات في إعادة وصف الواقع"[1].

ومما سبق نستطيع القول إن وظيفة الاستعارة، بصفة عامة، تكمن في خلخلة الأعراف، بواسطة تحويل المعنى الاستعاري من شيء مرئي إلى شيء ذهني، داع للفكر والإبداع، وبهذا المعنى، لن تكون الاستعارة مظهراً لغوياً فقط، بل مظهر انطولوجي ومكون ثقافي عام تتأثر به اللغة. وبالتالي، يبدو وكأنها" المعبّر عن صفة مبهمة وهو الذي يمكن أن يتغير محتواه الدلالي بحسب الثقافات والأفراد"[2]. وبهذا الصدد فقد اعتبر ريكور أن الاستعارة هي" مهارة، وموهبة وفكر"[3] من حيث يتمتع بأهميّة قصوى عندما يتحدث عن علاقتها بالتأويل وبأثر معاني الخطابات الاستعارية على الوجود ليس فقط بكونه يمثل أو يصور الواقع، بل أيضاً من أجل إعادة بناءه من جديد، طالما أن دلالة الاستعارة في عالم الخطاب لها قيمتها بوصفها مشروعاً للمستقبل، أي في جميع أنواع الخطاب ومستوياته سواء أكان سياسي أم أعلامي أم ثقافي.

ثالثاً: في تأويلية الاستعارة: الاستعارة بوصفها لغة المستقبل:

ينطلق معظم الباحثين في مسألة التأويل عند ريكور من الملاحظة الآتية:" إن العمل الفلسفي لريكور يدور حول المعنى، وبالتالي يدور حول اللغة، لأن اللغة في جوهرها إبداع، تنمو وتنحو دائماً نحو الخارج، أو إلى ما هو خارج ذاتها وهي تملك إمكانية التعدد في القول والتعبير والخطاب والنص"[4] ومن هذه الملاحظة يُثار سؤال اللغة والتأويل في فلسفة بول ريكور حيث يحدد التأويل بأنه " ليس بحثاً في النوايا النفسية المتخفية تحت سطح النص، بل بالأحرى بوصفها تفسيراً للوجود ـ في ـ العالم معروضاً في النص. ما يجب تأويله في النص هو العالم المقترح الذي يمكن أن أسكنه وفيه يمكنني أن أشترع إمكاناتي الخاصة"[5]. و محاولة فهم هذا النص يقودنا إلى مفهوم التأويل، ولا سيما مسألة الاستعارة التي تكتسب صيغة جديدة قائمة على فكرتين أساسيتين: الأولى: هي ما يحيط بمسألة التأويل من تعدد دلالي، وكثرة استعمال. وبالتالي الانفتاح على عالم التصرف البشري، عالم العمل والممارسة، في حين أن الثانية ترى في التأويل صيغة تتجه نحو المستقبل. وتظهر هنا الوظيفة العلائقية التي تربط الاستعارة بالتأويل، فالاستعارة لا تقوم بذاتها، بل من خلال التأويل. وفي هذا الصدد، يؤكد ريكور إن " الاستعارة لا توجد بذاتها، بل في التأويل، ومن خلاله"[6]. وإزاء هذا الموقف الريكوري من علاقة الاستعارة بالتأويل، والتي لا يمكن النظر إليها على إنها علاقة أفقية؛ أي علاقة تبعية. وإنما علاقة عمودية، تفاعلية يمكن من خلالها فهم الأسس النظرية للحديث عن التأويل الاستعاري، والذي بحسب ريكور" يفترض أصلاً التأويل الحرفي الذي يفكك نفسه في تناقض دال. بين تأويليين متعارضين، وهو ما

[1]- ريكور بول، 2016- الاستعارة الحية. . (مصدر سبق ذكره)،ص45
[2] - المصدر نفسه، ص190
[3]- المصدر نفسه، ص152
[4] - بغوري الزواوي، 2005ـ الفلسفة واللغة نقد في المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة. الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص121
[5]- الغانمي سعيد، 1999ـ الوجود والزمان والسرد فلسفة بول ريكور. (مرجع سبق ذكره)،ص31
[6]- ريكور بول،2006ـ *نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى*. (مصدر سبق ذكره)،ص91

يسمح بالمشاكلة داخل نص ما، أو كما أسماه بعض الباحثين بالمنافرة الدلالية"[1]. والمقصود بالمنافرة الدلالية؛ أي تنافر من نوع ما في القول الاستعاري المؤول حرفياً.

ومن هذا المنطلق يندرج التأويل عند ريكور بين تتبع أثر المعنى وتعدديته، ولغة تتجه إلى المستقبل. وهذا يدل على أن عملية التأويل عند ريكور هي عملية مفتوحة على مصراعيها، بحيث لا تضبطها ضوابط، ولا نحدها حدود. وعندما نتتبع ريكور في مقاربته التأويلية وعلاقتها بالاستعارة نجده يحاول تخليص الاستعارة من أسر الفهم الحرفي المتمثل في النظرة الوضعية أو القائمة على المماثلة، مركزاً داخل الفهم التأويلي على مفهوم الانفتاح، والذي لا يُفهم على أنه مجرد تعدد معاني فقط، بل هو نوع من التداخل على مستوى اللغة بين السمات كلها الألسنية وغير الألسنية. وفي هذا الصدد يذهب أحد الباحثين إلى التأكيد على أن الانفتاح هو" أن في كل حقل تأويلي، توجد للتأويل سمة ألسنية وغير ألسنية، أي سمة اللغة وسمة التجربة المعاشة. وهذا ما يشكل خصوصية التأويلات، فهي تكمن بالضبط هنا أن قبضة اللغة على الوجود وقبضة الوجود على اللغة تتحققان عبر قنوات مختلفة"[2]. وهذا ما يجعل التأويل رهينة ثقافة، وهو بمثابة الحدود الضامنة التي تشد باب الصراعات التأويلية والمعالم التي تغير معالم سيرورة القراءة، يطلق ريكور على هذا الضامن اسم عالم الخطاب" الذي يعد بمثابة الحد الوسط بين الفهم والتفسير. ومن ثم تتبع معنى النص وأثره، وبين البعد اليوتوبي المستقبلي للخطاب.

أ: الاستعارة وعالم الخطاب:

يؤكد ريكور أن بحث الاستعارة يتضمن مسألتين مهمتين هما: تضّمن الذات في الخطاب، ومسألة الإحالة التي أثارتها نظرية الخطاب"[3]. وبين تلك المسألتين تبرز مقولة الانفتاح التي أكدها ضمن مشروعه التأويلي. ومن هنا فإن الاستعارة تنفتح على سلسلة من التأويلات تختلف وتتعدد بتعدد السياقات الواردة فيها. ففي كتابه "الاستعارة الحية" يترافع ريكور لمصلحة تعددية الخطاب ومستوياته، وهو يقصد بهذه التعددية تنوع الميادين التي تستخدم اللغة والخطاب فيها من مثل الخطاب العلمي، والشعري، والديني، والفلسفي. ولكن التشديد على هذه التعددية ينبغي أن تترافق مع تعددية الحقيقة التي ينشدها كل خطاب. ووفقاً لذلك ينتقد ريكور ويرفض الرأي القائل بأن الحقيقة فقط يمتلكها الخطاب العلمي، قائلاً " إن العلم الذي يدعي أنه هو وحده من يحتكر الحق في الحديث عن الواقع لا يعكس في الحقيقة إلا مظهراً واحداً منه"[4]. منه"[4]. وهذا يعود إلى محتوى التعابير المشكّلة للخطاب؛ أي الرجوع إلى المؤولات المختزنة في الموسوعة الثقافية للتعابير. وبالتالي، فإن فهم خطاب ما، هو تأويل لتحققات قيمته المترادفة استناداً إلى ما يسمح به السياق ويقترحه، هذا إلى جانب إن علاقة الاستعارة بالخطاب تجعل من عمل التأويل خاضع لآليات الخطاب. وبهذا ينبثق التأويل الاستعاري من التفاعل بين المؤول والنص، حيث إن" القارئ لا يتلقى هذا المعنى خلواً من أية سابقة دلالية، بل يتلقاه مزوداً بالأعراف والتقاليد التراثية والثقافية التي يوفرها له مجتمعه"[5]. وهذا يعني أن مهمة التأويل الاستعاري هي بالعودة إلى تلك القيم التي توجد وتكون متجذرة بعمق في ثقافتنا من أجل إدخالها ضمن نسق التراث الثقافي الذي يختلف باختلاف الثقافات المكونة لهويات الذوات المؤولة؛ إيّ ليس فقط حسب السياقات والأفكار الثقافية المحملة داخل النص، على اعتبار النص فضاءً لغوياً ثقافياً. بل أيضاً باختلاف الذوات التي تؤول هذا النص خاصة وأن ريكور يعرِّف "

---

[1] - **بغوري الزواوي، 2005- الفلسفة واللغة نقد في المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة. (مرجع سبق ذكره)،ص125**
[2] - **المرجع نفسه، ص125**
[3] - **ريكور بول، 2006- بعد طول تأمل. (مصدر سبق ذكره)، ص69**
[4] - **ريكور بول، 2016- الاستعارة الحية. الطبعة الأولى، دار الكتاب المتحدة الجديدة، ليبيا، ص38**
[5] - **ريكور بول،2006- *نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى*. (مصدر سبق ذكره)،ص17**

الخطاب بوصفه واقعة"[1]، وهذه الواقعة تقودنا إلى العلاقة التي تشكل الخطاب ذاته؛ أي إلى الزمان والحدث. وبالتالي إلى العلاقة بين الواقعة والمعنى. فالواقعة " هي شخص ما يتكلم"[2] وهذه الواقعة هي التي تفتح الخطاب بين ذوات متعددة. وبالتالي، تعمل الموسوعة الثقافية للذوات المؤولة على فتح مضامين التأويل الاستعاري على مصراعيه، من حيث إنها تتجاوز الخصائص الذي يفرضها السياق الذي وردت فيه الاستعارة، وهنا " يكتسب الخطاب استقلالاً ذاتياً دلالياً ثلاثياً: تجاه قصد المتكلم، وتجاه تلقي حضور بسطاء، وتجاه الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تنتجه"[3] وهنا يدخل عالم الخطاب ضمن الموسوعة الثقافية للذوات المؤولة التي توفر عدداً لامتناهياً من الخصائص للمستعار منه. وهذا ما يشير بدوره إلى أهمية الاستعارة داخل عمل الخطاب بشكل عام، بحيث يمكن القول إن الخطاب يصل إلى دلالة حقيقية عندما يتحقق الخطاب وقد تعرض للانزياح، والانزياح هنا هو الذي يبدو بوصفه تعبيراً دلالياً"[4]. وبهذا الحالة يتشكل الخطاب بوصفه إعادة تقويم شامل له ولكل مكوناته، وهنا يؤكد ريكور أن الخطاب الاستعاري يعود إلى المستوى التداولي كما تعود إلى الدلالية من حيث إن كل خطاب هو نتاج من العلاقات والهويات الاجتماعية والوظائف الفكرية. وهنا يحيلنا ريكور إلى علاقة الخطاب الاستعاري بالبعد الايديولوجي وعملية الاختيارات اللغوية التي تجعل من الخطاب مجالاً للعمليات الايديولوجية وبحسب ريكور تعتبر" الايديولوجيا بلاغة الاتصال الأساسي، وكما هو الحال مع الايديولوجيا تماماً، فإن المحسنات البلاغية لا يمكن اقصاؤها عن اللغة، إنها بدلاً من ذلك جزء داخلي من اللغة"[5] من حيث إن اللغة عنصر ثقافي يتحول بذاته إلى جزء من الواقع، وهذا إن دلَّ على شيء فإنه يدل على أن الخطاب هو دوماً خطاب موجه، وليس له" عالم فحسب، بل عالم ثانٍ، شخص آخر، مُخاطب مُوجه إليه، والحدث، بهذا المعنى الأخير، هو ظاهرة التبادل الزمنية بناء الحوار، الذي يمكن أن تعقد، أن يطول أو أن يتقاطع"[6] . وفيما يتعلق بالخطاب الاستعاري وعلاقته بالتأويل، فقد أشارت الدراسات المعاصرة واللاحقة والمختصة في علم اللغة والخطاب وعلاقتهما بالتأويل إلى التشديد على أهمية الخطاب بوصفه مشروعاً في العالم. والمشروع هنا ليس من أجل تمثيل العالم فقط بل وإعادة تشكيله من جديد. وهو ما أصبح يسمى اليوم بعلاقة الاستعارة في الخطاب الاعلامي أو آليات بناء المعنى وانتاج المعرفة. وبرأي هؤلاء الباحثين إن فهم الاستعارة داخل الخطاب الاعلامي لا يكتفي بتصوير الواقع ونقله، بل ويسعى إلى تهيئة الأرضية المعرفية والسياسية والايديولوجية المناسبة للمتلقي لحمله على تبني مقاربة توافقية ما حول حوادث العالم*، إن هذا الخطاب الاستعاري الاعلامي يُعتبر حيلة من حيل الخطاب الاعلامي المزيف، الذي سبق ونبه إليها ريكور من حيث إنه كان" يعلم أمكان أن يتحول الخطاب إلى أداة قتل جديدة للموتى، وقد أشار هو نفسه في ندوة هذا الكتاب إلى هذا الإمكان وحذر منه"[7]. عندما أكد على أنه في هذه الحالة يمكن للبلاغة أن تؤدي تؤدي دورها داخل الخطاب الاستعاري و تطويع اللغة لتقديم منفعة ما.

---

[1] - المصدر نفسه، ص34

[2] - المصدر نفسه، ص39

[3] - من النص إلى الفعل، ص24

[4] - ريكور بول، 2016- الاستعارة الحية. الطبعة الأولى، دار الكتاب المتحدة الجديدة، ليبيا، ص243

[5] -الايدبولوجيا واليونوبيا، ص18

[6] - ريكور بول، 2001- من النص إلى الفعل أبحاث التأويل، الطبعة الأولى، ت: محمد برادة و حسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الاسكندرية، ص80

* وكمثال على هذه الممارسة الاستعارية داخل الخطاب الاعلامي ماكتبه جان بودريار آبان حرب الخليج في تاريخ 4_12_ 1990 ضمن ثلاث مقالات متتالية في صحيفة ليبراسيون بعنوان: حرب الخليج لن تقع، وتبعها بمقال آخر حرب الحليج تجري الآن فعلاً، وبعدها كتب بودريار بتاريخ 29_3_1991 مقالة ثالثة تحت عنوان حرب الخليج لم تقع(الغانمي سعيد، 1999- الوجود والزمان والسرد فلسفة بول ريكور. (مرجع سبق ذكره)،ص25)

[7] - المرجع نفسه، ص26

ب: الاستعارة والعالم الممكن:

إذا كان عالم الخطاب الذي تحدث عنه ريكور يُشكل أحد أهم وسائل الاتصال بين اللغة والواقع، فإن البحث في دلالة الاستعارة بوصفها مشروعاً ذات بعد يوتوبي ارتبط بشكل مباشر بمفهوم "العالم الممكن". هذا العالم الذي يتضمن فكرة المشروع، والمقصود بالمشروع عند ريكور هو" تصميم عملي لحالة مستقبلية يعتمد عليَّ أنا"[1]. ومن هنا فقد ذهب ريكور إلى تعريف العالم الممكن أو كما يسميه هو العالم المقترح بأنه" قابلية تعين المشروع، بقدر ما يكون في حدود قدرتي، فهو قرين قدرتي للارتباط بالأشياء نفسها"[2].ويمضي ريكور بقوله إن العالم الممكن هو مكوناً جوهرياً في فهم الذات، وبالتالي تحديد الوجود الإنساني وفهمه، ولا يعد العالم الممكن مفهوماً مستحدثاً في عالم السيميائيات المعاصر، بل عُرف في المجالات الفلسفية سابقاً؛ أي سبق وتحدث عنه لايبنتز ضمن رؤيته الميتافيزيقية للوجود. ولكن الدراسات الحديثة قد استثمرته في بحثها ضمن السيميائيات النصية. وقد لجأ ريكور إلى فكرة العالم الممكن في دراسته اللغوية والسيمائية من أجل تجديد الطرح في القضايا الفلسفية. وبالتالي من أجل تجديد الحلول المقدمة لتلك القضايا، خاصة وإن ريكور قد وجد أن المشكلة اليوم هي مشكلة المنهج. فيجب تغير المنهج من أجل الوصول إلى حلول معرفية وفكرية جديدة. لذلك يذهب إلى التأكيد على أن " الفلسفة هي تأمل في الوجود، وفي كل وسيلة يمكن أن يُفهم بها هذا الوجود"[3]. إذ تظهر هنا مهمة الفلسفة الجديدة التي تتضمن البحث في الوجود من خلال مشكلة المعنى واللغة، هذه المهمة الجديدة للفلسفة هي التي تطرح على مستوى النص، نظرية العوالم الممكنة وتتعلق بشكل أو بآخر بمشروع ريكور الفلسفي، أي ضمن الأنثروبولوجيا الفلسفية المتضمنة هي بدورها فكرة الإنسان القادر، والذي يملك هوية سردية يمكن من خلالها أن يُعيد تشكيل واقعه من خلال قدراته العقلية والفكرية والتخيلية التي بواسطتها يمكن للذات المعاصرة أن تحقق امكانيات كثيرة. وبالتالي، يختلف مفهوم العالم الممكن عند ريكور في السيمياء عنه في الفلسفة . إذ يذهب ريكور إن الاختلاف يكمن إن العالم الممكن في الفلسفة يعود إلى الميتافيزيقا؛ وفق التصور الذي يرى أن العالم الذي نحيا به، وقد صنعه الرب على أحسن صورة وتقويم، وهو واسطة بين الوجود والرب. في حين أن العالم الممكن داخل النص تقوم على واسطة بين علم الدلالة و الوجود، وهذه الواسطة هي الخيال. وبهذا المعنى يفهم ريكور مفهوم العالم الممكن داخل النص من خلال قوله:" إننا لن نفهم الوجود الإنساني والإمكانات الإنسانية إلا من خلال تحليل الرموز والنصوص التي تشهد على ذلك الوجود"[4]. ويلعب المخيال داخل العملية التأويلية التي تبرز بين النص والوجود دوراً كبيراً ويتضح ذلك من خلال إصرار إصرار ريكور على أن " الأعمال الخيالية لا تقل واقعية، بل لعلها أكثر واقعية من الأشياء التي تمثلها، إذ يتضمن الخيال عالماً كاملاً معروضاً أمامنا، يكثف الواقع، ويجمع ملامحه الجوهرية في بنية مركزة، أو عمل، تقول الأخيلة الواقع الإنساني باشتراعها عالماً ممكناً يستطيع أن يتقاطع مع عالم القارئ ويحوله"[5]، فالعالم الممكن إذاً هو بناء ثقافي يشيده القارئ انطلاقاً من التراكمات الثقافية. وبهذا يرى ريكور أن العالم الممكن هو نتيجة تفاعل تأويلي بين قطبي هما عالم النص وعالم القارئ، حيث إن" عملية التأليف أو الصياغة لا تكتمل في النص وحده، بل لدى القارئ، وبهذا الشرط تجعل من إعادة صياغة الحياة في السرد أمراً ممكناً"[6]. ومن هنا فإن العلاقة بين العالم الممكن والعالم الفعلي كما تكمن تكمن في أسبقية العالم الممكن على العالم الفعلي. وفي هذا الصدد يقول ريكور:" إن العالم الممكن يسبق العالم الفعلي

---

[1] - المرجع نفسه ،ص79
[2] - المرجع نفسه ،ص79
[3] المرجع نفسه، ص78
[4] - المرجع نفسه ص80
[5] - المرجع نفسه ص31
[6] - المرجع نفسه ،ص46

من حيث إن جزءاً من العقلي يكمن في التحقيق المقصود للإمكانات التي يستبقها مشروع ما"[1] وهذه الأسبقية تعود بنظر ريكور إلى أن الإنسان ينوي ويقصد بعض المشروعات قبل تحقيقها في العالم الفعلي، وهذا يحيلنا إلى مشروع الإنسان القادر ودور الإرادة في تحقيق هذه المشاريع هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن " العالم الواقعي يقع خارج اللغة في اللسانيات، لا القاموس ولا النحو يحتوي على الواقع"[2] . وبهذا المعنى فإن العالم الممكن يستمد امكانياته من التجربة العقلية والذهنية وما تأتي به الأخيلة الخاصة بالقارئ حيث إن الأخيلة كما يقول ريكور" تقول الواقع الإنساني باشتراعها (اسقاطها) عالماً ممكناً يستطيع أن يتقاطع مع عالم القارئ ويحوله"[3].

أما فيما يخص علاقة الاستعارة بالعالم الممكن، فإن ريكور يشترط في أن تأويل الاستعارة يستكشف ممكنات الفعل، لأن التعبير الاستعاري مهمته العثور على القصد الضائع خلف النص واسقاط محتواه على عالم ممكن، وفي هذا السياق يقول " إن عالم النص هو طريقة الوجود ـ في ـ العالم من شأنها أن تبتكر إمكانيات متنوعة، خيالياً ومشترعة في الموقف الخيالي. إذن فالقصص، ليست غير واقعية، ولا وهمية بل هي فعلاً وسيلة استكشاف انطولوجية لعلاقتنا بالموجودات والوجود"[4]. وضمن هذه الرؤية الريكورية لعالم النصوص، نجد تشديد ريكوري على تعليق الحكم من جانب اللغة على علاقتنا بالعالم الفعلي من خلال " تعليق إحالة اللغة العادية التي من الدرجة الأولى، الموجه كفائدة إحالة من الدرجة الثانية، يتجلى العالم فيها لا من حيث هو مجمل موضوعات يمكن التحكم فيها، ولكن من حيث هو أفق حياتنا ومشروعنا، ومن حيث هو اختصار لوجودنا في العالم"[5]، وهكذا فإن الاستعارة في إحالتها الأولى ضمن علاقات التأويل التأويل الذي يقترحها ريكور تجعل مسألة الاستعارة عنده تكتسب صيغة مختلفة من خلال إعادة بعثها من رمادها، وهو بهذه الرؤية قد دخل على مفهوم الاستعارة وعلاقتها بالعالم الممكن من باب الموت وليس من باب الميلاد، وذلك عندما يطلب من الاستعارة أن تكون لغة مستقبلية. وفي تجربتها بالغد(المستقبل). وكذلك الحال مع الرموز، التي يتوجب تخليصها من أسر الفهم الحرفي، ومن ضيق النظرية الوضعية التي تحاصرها بتحويلها إلى مجرد استعارة قائمة على المماثلة"[6]. وبهذا الرأي يختلف ريكور عن دريدا، فالأخير الذي أكد على أن الاستعارة طريقة لتجميد المعنى وبالتالي، فهي ليست بالطريقة البريئة على الاطلاق. بحيث يغدو فهم دريدا للاستعارة بأنها أداة واختراع ميتافيزيقي غربي حيث يتم توظيف الاستعارة والتشابه الجزئي في سبيل دراسة مفهوم المماثلة، وجعل هذا المفهوم مُدرك"[7]. وريكور برؤيته المستقبلية للغة الاستعارية قد أكد على فكرة في غاية الأهمية، وهي أن الاستعارة لا يمكنها أن تنتج أفراداً من علم تعاقبي؛ أي من تراكم العالم الواقعي والعالم الفعلي، إنما تساهم في إغناء معرفتنا على الأفراد الذي ينتمون إلى العالم المرجعي نفسه.

[1] - المرجع نفسه ص80
[2] - المرجع نفسه ص47
[3] - المرجع نفسه ص91
[4] - المرجع نفسه ص84
[5] - ريكور بول، 2006ـ بعد طول تأمل. (مصدر سبق ذكره)، ص93
[6] - ريكور بول،2006ـ *نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى*. (مصدر سبق ذكره)،ص16
[7] - **YEGEN G., 2014_ *Derrida and language; Deconstruction*, Mus Alparslan university,Faculty of communication, ,p.57.**

الاستنتاجات والتوصيات:

شكلت مسألة الاستعارة محوراً جوهرياً للخطاب الفلسفي بشكل عام، وللخطاب التأويلي بشكل خاص، ومن هذا المنطلق فقد تجاوزت محاولة اختزالها في معنى زخرف بلاغي، أو ترف لغوي، إذ أصبح لها دور فاعل سواء في حياتنا اليومية أو ضمن الإطار الثقافي لمختلف أشكال الخطاب، وعلى هذا الأساس فقد اعتبر ريكور الاستعارة مسألة تفاعلية، مبنية على أساس العلاقة القائمة بين الإنسان ومحيطه الخارجي. إضافة إلى اعتباره أن الاستعارة لا يمكن أن تشتغل بشكل منقول ومنفرد عن مختلف الأشكال البلاغية الأخرى، كالرمز، والكناية، والمجاز وغير ذلك. بالإضافة إلى ذلك فقد دخلت الاستعارة في الفكر المعاصر حيز الفلسفات التأويلية والهيرمينوطيقة، ومن هذا المنطلق احتلت الاستعارة في هذه الفلسفات مكانة هامة، ولاسيما داخل عالم الخطاب الذي سمح لتلك الفلسفات أن تعمل في إطار البحث بين دلالات متعددة داخلة ضمن سياق الأداة القاتلة التي سبق ونبه إليها ريكور و التي عرفت فيما بعد بالاستعارات القاتلة التي تستخدم الخطاب الاستعاري في اللعبة السياسية وهذا وما أشار إليه جان بودريار في ثلاث مقالات متتالية إبان حرب الخليج، وأيضا جورج لايكوف في كتابه المعنون "حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل". أما عن علاقة الاستعارة بالعالم الممكن الذي أخرجته الدراسات اللغوية والسيمائية المعاصرة من حيز الوجود الميتافيزيقي وادخلته إلى الوجود النصي وذلك من أجل تجديد الطرح في القضايا الفلسفية. وكذلك تجديد الحلول المقدمة لها، فقد اعتبره ريكور لغة يتجه للمستقبل، ويلعب الخيال فيه دور الوسيط بين الوجود والنص، وهنا تكمن مهمة الذات المؤولة في إعادة بناء العالم، من حيث إن مهمة التعبير الاستعاري هو العثور على القصد الضائع خلف النص واسقاط محتواه على عالم ممكن.

المصادر والمراجع:

1. ريكور، بول. *من النص إلى الفعل أبحاث التأويل*. ط1، ت: محمد برادة و حسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الاسكندرية،338,2001. صفحة.
2. ريكور، بول. *محاضرات في الأيديولوجيا واليوتوبيا* .ط1، ت: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2002، 432صفحة
3. ريكور، بول. *صراع التأويلات دراسات هيرمينوطيقية*. ط1، ت: منذر عياشي، م: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة،571,2005صفحة.
4. ريكور، بول. *الاستعارة الحية*. ط1، دار الكتاب المتحدة الجديدة، ليبيا،2016، 503 صفحة.
5. ريكور، بول. *بعد طول تأمل*. ط1، ت: عمر مهيبل ، منشورات الاختلاف،2006، 150صفحة.
6. ريكور بول. *الزمان والسرد، الزمان المروري*. ط1، ت: سعيد الغانمي، ج3، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،2006، 528صفحة.
7. ريكور بول. *نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى*. ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب،2006، 160صفحة.
8. ريكور، بول. *الذات عينها كآخر*. ت: جورج زيناتي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 719,2005صفحة.

9. الغانمي، سعيد. *الوجود والزمان والسرد فلسفة بول ريكور*. ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1999، 279صفحة.

10. إيكو، امبرتو. *السيميائية وفلسفة اللغة*. ت: أحمد الصمعي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، 513ص.

11. بغوري، الزواوي. *الفلسفة واللغة نقد في المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة*. الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،2005، 240 صفحة.

12. ختام، جواد . *التداولية أصولها واتجاهاتها*. ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2016، 184 صفحة.

13. لايكوف، جورج وجونس، مارك. *الاستعارات التي نحيا بها*. ط2، ت: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، 2009، 233 صفحة.

14. هوكس، تيرنس. *الاستعارة*. ط1، ت: عمرو زكريا عبد الله، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 121,2016صفحة.

15. YEGEN G, Derrida and language;Deconstruction, Mus Alparslan university,Faculty of communication,2014.

16. KIM J. Metaphor within/ without Metaphysics; Nietzsch,Heiegger and Derrida. LSU.Historical dissertations and these, Macrothink institute,1992,48-61p